# العوامل المؤثرة سلباً على النشاط الزراعي في مصر وبلاد الشام والجزيرة الفراتية خلال العصر الايوبي

## (٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م _ ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م)

ا.م.د. عبد الباسط مصطفى مجيد الرفاعي
جامعة سامراء /كلية التربية – قسم التاريخ

**المقدمة**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .

إن النشاط الزراعي يمثل العصب الأساس والمهم لحياة الإنسان الاقتصادية ، وهذه الأهمية تكون للمجتمع كما هي للفرد ، وتاريخ الإنسانية طويل وحافل بذكر هذا النشاط عند الشعوب والدول قديماً وحديثاً ، ولا ضير من تسليط الضوء على رقع جغرافية معينة لإبراز الأسباب التي يمكن أن تؤثر سلباً على النشاط الزراعي في حقبة زمنية معينة وهنا تكمن فرضية البحث ، وبفعل ترابط الرقع الجغرافية مع بعضها بسبب العامل السياسي والإداري الذي كان مفروض وسائد في حقبة زمنية معينة أصبح بالإمكان الجمع بين رقع جغرافية في ميدان هذه الدراسة في كل من قارة أفريقيا المتمثل بمصر وقارة أسيا المتمثل ببلاد الشام والجزيرة الفراتية ، فاصبح اختيار موضوع ( عوامل تدهور النشاط الزراعي في مصر وبلاد الشام والجزيرة الفراتية خلال العصر الايوبي ( ٥٦٩ هـ / ١١٧١ م ـ ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م) ) هو ميدان البحث قيد الدراسة .

أشتمل البحث على ثلاثة مطالب ؛ فالمطلب الأول منها كان عن : مصر، والذي جاء فيه أبراز للعوامل الطبيعية التي لم يكن للإنسان دورٌ يذكر في وقوعها كالفيضانات والزلازل وكيف

أثرت على حجم ومستوى الإنتاج الزراعي ، ثم بيان أحوال الفلاحين وما كان يتعرضون له من إجراءات حكومية من حيث فرض الضرائب وطبيعة ملكية الأرض .

أما المطلب الثاني فقد جاء فيه عن : بلاد الشام فتم بيان أثر العوامل السياسية والعسكرية في تردي الأوضاع المتعلقة بالجانب الزراعي في بلاد الشام ، وأحوال الفلاحين بعد تعرض هذه المنطقة للغزو الصليبي ، مع ذكر أثر العوامل الطبيعية الكاريثية على حجم الإنتاج الزراعي.

أما المطلب الثالث: فيتعلق بالجزيرة الفراتية وإيضاح العوامل السياسية والعسكرية التي أسهمت في تخريب النشاط الزراعي وتدهوره ، فضلاً عن العوامل الطبيعية السالبة وإسهامها في تراجع النشاط الزراعي وخرابه .

ومن بعد هذه المطالب المبينة أعلاه ختم البحث بالاستنتاجات ومن بعدها هوامش البحث ومصادره ومراجعه والتي تنوعت بين مصادر أوليه معظمها لمؤلفين معاصرين للإحداث قيد البحث مثل ؛ كتاب تاريخ دمشق لابن القلانسي ( ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠ م) ، وكتاب الاعتبار لابن منقذ ( ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م) ، وكتاب الفتح القسي في الفتح القدسي للاصبهاني ( ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠م) وغيرها من المصادر الاولية ، فضلاً عن المراجع الحديثة التي ركز فيها مؤلفيها على تحليل الوقائع التاريخية والسياسية والعسكرية والتنظيمات الاقتصادية للدولة الأيوبية مع أعطائهم لآرائهم وتفسيراتهم لهذه الوقائع وما كان يدور حولها وفيها من جوانب سياسية واقتصادية وإدارية .

## المطلب الأول

## مصر

### ١ ـ العوامل الطبيعية

تعرضت مصر خلال تاريخها الطويل إلى أزمات اقتصادية عديدة ، فبالرغم من اهتمام الأيوبيين بالزراعة ، الَّا إنَّ البلاد كانت تعيش حياة اقتصادية غير مستقرة بسبب انخفاض مستوى مياه نهر النيل خاصة اذا انخفضت مياهه عن مستوى اربعة عشر ذراعاً بحسب المقياس الموضوع لقياس مستوى منسوب مياه النهر[١] ، وكان هذه العامل من أكثر العوامل التي أضرّت بالحالة الاقتصادية وخاصةً بالجانب الزراعي خلال العصور التاريخية ، والتي لم يكن للإنسان دور بوقوعها أو السيطرة عليها إذ تأزمت مصر وتأثرت اقتصادياً في عهد الملك العزيز عثمان الى حد كبير بسبب انخفاض مستوى مياه نهر النيل سنة ( ٥٩٢هـ / ١١٩٤م ) وما تبع ذلك من نقص الغذاء وانتشار الغلاء والوباء ، وكثُرَ الزحامُ على الخَبز في الأسواق لقلَّتِهِ ، وهلكت الأحياء من المواشي والبشر [٢] ، فقال ( المقريزي ) : (( وكثرت الطرحى من الاسواق على الطُرقات وزادت عدتهم بمصر والقاهرة في كل يوم عن مائتي نفس ، وبقي بمصر من لم يوجد من يُكفْنهُ وأكثرهم يموت جوعاً )) [٣] ، وذكر ( ابن أياس ) عن هذه الضائقة التي حدثت في مصر فقال : (( ... وقع في ايامه غلاءٌ بسبب توقف النيل وشحت الغلالُ في وقت ميسورها ... واضطربت احوال الديار المصرية من قلة العدل وكثرة المعاصي ... )) [٤] ، وهو بهذا قد انفرد عن سائر المؤرخين المتحاملين على الملك العزيز عثمان ، كـ( إبن خلكان ) و ( المقريزي) اللذان يذكران عن الملك العزيز عثمان ، إنَّ الامور في عهده قد استقامت في مصر فكان ملكاً مباركاً عادلاً مع الرعية متعففاً عن اموالهم محسناً للناسِ ، كثيرُ الخير وواسع الكرم [٥] ، وبلغ من كرمه إنهُ لم تبقَ لهُ خزانة خاصة ولا فرس ، وبيوت أمرائهِ تفيضُ بالخيرات [٦] .

والراجح ان الملك العزيز عثمان كان ملكاً صالحاً في حُكمهِ إلَّا انهُ قد انشغل بالنزاعِ مع أخيهِ الأفضل نور الدين علي ، ودسائس عمهما الملك العادل التي زادت من هوة الخلاف بينهما لصالحه في تلك الحقبة ، وكان هذا هو السبب في أحداث تلك الضائقة الاقتصادية التي أدت الى اختلال أحوال البلاد وتدهور أمورها اقتصادياً واجتماعياً [٧] .

وقد تجددت كارثة انخفاض نهر النيل مع بداية حكم الملك العادل الأيوبي خلال سنتي

( ٥٩٦هـ / ١١٩٩م ) الى سنة ( ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢م ) تلك الكارثة المخيفة التي بالغ المؤرخون في وصف أحداثها المهولة من القحط وما تبع ذلك من تفشي المجاعة والأوبئة وكثرة الموتى وهجرة السكان [٨] ، كما تكرر نقصان مياه نهر النيل زمن الملك الكامل الايوبي خلال سنة

( ٦١٨هـ / ١٢٢١م ) وسنة ( ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥م ) وسنة ( ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م ) واستمر الى سنة ( ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠م ) فعَّم الغلاءُ كافة الأنحاءُ في مصر [٩].

ومن الكوارث الطبيعية الاخرى التي أثرت على النشاط الزراعي في مصر هي الزلازل التي ضربت البلاد في عهد الملك العادل الأيوبي وأحدثت كارثة مروعة في منطقة الصعيد، إذ هُدمت بنيان مصر ومات تحت الهدم خلقٌ كثير وامتدت الى بلاد الشام ، فأفاض المؤرخون في وصف أحوالها ، إذ ذكر ( المقريزي ) إنَّ الملك العادل كفن في مدةٍ يسيرة مائتي وعشرين ألفاً من الموتى [١٠] .

ومن المؤثرات السلبية الأخرى التي أثرَّت على الانتاج الزراعي في مصر هو غزو الجراد للحقول الزراعية مراتٍ عديدة ، منها ما حدث في مصر زمن الملك الكامل الايوبي سنة ( ٦٢٠هـ / ١٢٢٣م ) ثم سنة ( ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م ) ولهذا النوع من الحشرات تأثير كبير على النشاط الزراعي ، فقد تسبب في اتلاف المحاصيل بعد أن اكلها الجراد فقلَّ الانتاج الزراعي وانتشر الغلاء والفقر والمرض [١١] .

**٢ ـ أحوال الفلاحين**

إذا كانت الطبيعة في بعض الاحيان تقسو بشدتها على الفلاح فإنها ترحمهُ في احيان اخرى ، أما الحكام ففي الغالب كانوا لايرحمونه أبداً [١٢] ، اذ عانى الفلاح كثيراً من المشاكل في مصر وهذه المشاكل مرتبطة بصورة مباشرة بنظام توزيع الأرض الذي كان سائداً فيها بحسب الأحوال السياسية والإدارية السائدة [١٣] ، فالحكام لم يكونوا يتصلوا مباشرةً بالفلاحين الذين يقع

على كاهلهم دفع الضرائب ، وانما يقوم الحكام في وقت معين بتوزيع الاراضي على من يُعلن استعدادهُ لتسلُمها من ؛ الامراء ، والاجناد ، والاعيان ، واهل النواحي من العرب ، والقبط ، وغيرهم ، كإقطاع في مقابل ما يؤدوه من خراج معلوم الى بيت المال [١٤] ، تقرره الدولة على المقطَعين لمدة أربع سنوات [١٥] ، وكان المقطَع بدوره لا يتردد في اثقال الفلاحين بالإلتزامات والرسوم ولم يتهاونوا بإرهاقهم في دفع المفروض من الضرائب والاموال المتعددة الاشكال [١٦] ، كي يؤدي المقطَع أو الملتزم ما عليه من مال الخراج الى الحكومة ، وفي نفس الوقت يحفظ لنفسه ما زادَ من هذه الاموال لجمع الثروة الضخمة وذلك كله على حساب الفلاح ولصالح المقطع ، فإرتبط الفلاح المصري بالأرض لا يبرحها الا بإذنٍ خاص ، وكانت معاناته على هذا النحو طوال عهد الدولة الفاطمية [١٧] ، مما أدى الى عدم استقرار الفلاحين وتركهم الزراعة في مصر فاضعفها في عهد الدولة الأيوبية ، ففي عهد السلطان صلاح الدين سنة ( ٥٨٠هـ / ١١٨٤م ) خُرِّبت المزارع وقلّت الزراعة ، وتُركت الكثير من الأراضي والسبب في ذلك هو نقص أعداد السكان وخصوصاً في المناطق الصالحة للزراعة [١٨] .

وفي مثل هذه الأوضاع التي يعيشُها الفلاح والمتمثلة بالكوارث الطبيعية من جانب وعيشهِ تحت رحمة الحكام من جانبٍ آخر ، حتمت عليه ان يعيش حياة غير مستقرة وغير آمنة[١٩]، وهذا بالطبع سيؤثر سلباً على الإنتاج الزراعي ، لكن القوانين التي وضعتها الدولة الأيوبية حَمت الفلاحين من عسف الإقطاعيين بأن وضعت قواعد محددة لصالح الفلاحين في كيفية معاملتهم وجباية الاموال منهم ، فحظي الفلاحُ المصري أخيراً بقدر من الرعاية والعناية الأمر الذي أدى إلى تحسين الجانب الزراعي في ظل الأيوبيين [٢٠] .

إن الضرائب التي فرضت على الفلاحين في عصر الأيوبيين عديدة وهي تسمى بالخراج المُستمد من الزراعة [٢١] ، أو ضريبة الخراج السنوية المفروضة على الأراضي التي تُزرع حبوباً ونخلاً وعنباً وفاكهة ، وهذه الضرائب يدفعها الفلاح الى صاحب الارض ، فيستقطع جُزءاً منها كمصروفات للأرض ، أما الباقي فيؤديها الى خزينة الدولة [٢٢] ، والى جانب هذه الضرائب كانت هناك ضرائب عديدة يؤديها الفلاح للسيد الاقطاعي للإنفاق منها على الإقطاع أو لسد نفقات بعض الوظائف المرتبط عملها بالنشاط الزراعي والتي منها ؛

١ ـ شد الاحباس ، وهو نوعٌ من الرسوم المفروضة على الفلاحين ويُقصد به ما يُصرف الى المشد على الاحباس وأراضي الاوقاف [٢٣] ، أو ما تُسمى الاملاك الوقفية التي وُقف ريعُها على المشاريع الخيرية [٢٤] .

٢ ـ شد المُعين ، وهو ما يؤدي من الاموال الى المشرف على جباية خراج المعين[٢٥] .

٣ ـ رسم الجرارين ، وهي الاموال المُستحصلة من الفلاحين للإنفاق منها على اصلاح الجسور والقنوات [٢٦] .

٤ ـ وهناك رسوم اخرى منها ؛ الاجران ، والحصاد ، والحفاوة ، والكيالة ، والمراعي[٢٧] ، فضلاً عن الزكاة التي اعادها السلطان صلاح الدين في مصر سنة ( ٥٧٦ هـ / ١١٧١م ) بعد اسقاطه للدولة الفاطمية لتطبيق احكام الشريعة والسنة النبوية لتكون الزكاة هي البديل عن الضرائب والمكوس غير الشرعية التي أوجدها الفاطميون في مصر[٢٨] .

## المطلب الثاني

## بلاد الشام

لقد تأثر النشاط الزراعي في بلاد الشام سلباً بعدة عوامل كان أبرزها :ـ

### ١ ـ العوامل السياسية والعسكرية

كانت الحروب الصليبية أحد أهم الأسباب التي أثرت سلباً على الزراعة في بلاد الشام لما أحدثتهُ تحركات الافرنج من التدمير والتخريب ، ولما احدثهُ الاحتلال الصليبي من خلخلة في النظام الزراعي ، وبالتالي قلة المحصول في المناطق التي تمَّ غزوها من قبل الصليبيين، إذ أصبحت أراضي السُكان ساحات قتال بين اصحاب الارض وبين الفرنجة الصليبيين ، فتعرض كل ملاك الاراضي المسلمين الكبار للموت أو الهجرة والهروب بعد احتلال اراضيهم، وحصل

الامراء الصليبيون على النصيب الاكبر من الاراضي الزراعية التي تمَّ سلبها من الفلاحين المسلمين [٢٩] ، بل شجع الصليبيون على إنشاء مستوطناتٍ قروية وجذب المستوطنين الى بلاد الشام مع تقديم التسهيلات والاقامة بالريف للزراعة عن طريق التبرع لهم بالأرض ومنحهم السكن الدائم [٣٠] ، حتى بلغ مجموع القرى الريفية للمستوطنات الصليبية حوالي ( ١٢٠٠ ) قرية خلال القرنين ( السادس والسابع الهجريين / الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين ) ، فتقلصت مساحة الاراضي التابعة للفلاحين المسلمين بسبب اسْتغلال الصليبيين وبشكل كبير للأراضي الزراعية في بلاد الشام [٣١] ، كما تعرض الفلاح الشامي ومنذ الاعوام الاولى للغزو الصليبي الى عمليات هجرة من اراضيه بحثاً عن الامان [٣٢] ، كما تحطمت أنظمة الري الموجودة ، وبالتالي أثَّر الاحتلال الصليبي سَلباً على الإنتاج الزراعي في بلاد الشام [٣٣] .

ولكن بالرغم من هذه المعوقات كانت الزراعة في بلاد الشام تسترجع عافيتها وحياتها كُلما هدئت الاحوال السياسية والعسكرية ، ويتضح ذلك في سنة ( ٥١٨هـ / ١١٢٤م ) أواخر ايام حكم بني ارتق في عهد آق سنقر البرسقي مدى إهتمام الناس بالزراعة في حلب ، بعدما وصل بهم ضعف الحال من الجوع وأكل الميتات والمرض بسبب حروبهم مع الافرنج ، فقال ( ابن العديم ) : (( شرع الناسُ في الزرعِ ببلد حلب في الثاني عشر من شباط وجعلوا يبلّون الغلة بالماء ويزرعونها فنبتت وتداركت عليها الامطار ، فأخصبت وجاءت الغلة من أجود الغلال وازكاها )) [٣٤]

إلَّا إن السيطرة الصليبية على اراضي بلاد الشام أخذت بالزوال شيئاً فشيئاً وذلك عندما ظهرت اولى ملامح الجهاد الاسلامي على يد عماد الدين زنكي الذي قام باسترداد المدن والقلاع الاسلامية من الفرنج الصليبيين في بلاد الشام والجزيرة الفراتية [٣٥] .

وأكمل ولدهُ نور الدين محمود مسيرة ابيه في توحيد الجبهة الاسلامية للوقوف بوجه الخطر الصليبي [٣٦] ، ثم توج السلطان صلاح الدين مسيرة الوحدة الإسلامية بين مصر وبلاد الشام بما حققهُ من الإنتصارات الحاسمة على الصليبيين ما قبل معركة حطين التي حدثت سنة ( ٥٨٣هـ / ١١٨٧م ) وما بعدها [٣٧] ، فتدهورت أحوال الريف الصليبي ، إذ سقطت المدن الداخلية في بلاد الشام بيد الدولة الأيوبية ،عندما اتَّبع السلطان صلاح الدين سياسة الأرض

المحروقة ، وهي من ضمن خُططه العسكرية لإسترجاع الاراضي من المحتلين ، اذ كان جنود السلطان صلاح الدين يُضرمون النار فيما يجدونهُ في طريقهم من الحقول ومخازن الغلال ، فكان فلاحي القُرى الصليبية يسعون الى تخزين الغلال وإخفائها في مخازن تحت الأرض خوفاً عليها من الحرق والنفاد ، وكان السلطان صلاح الدين يسعى بهذه الخطة العسكرية الى استنزاف قوى الصليبيين بصورة سريعة [٣٨] ، مما ادى ذلك الى تقليص مساحة المستعمرات الصليبية واقتصار أماكن سيطرتها على الشريط الساحلي للبحر الابيض المتوسط ( انطاكية ، طرابلس ، صور ) وبالتالي فقدان المستعمرات الكثير من الاراضي الزراعية الخصبة ، حتى اضطرّ الصليبيون الى استيراد الغلال من المدن الاسلامية الداخلية [٣٩] .

أما فيما تبقى من الاراضي التي بقيت بيد الصليبين ، فقد تعامل السلطان صلاح الدين معها على اساس المهادنة بين المسلمين والصليبين وخاصةً في أوقات السلْم والهدنة ، وكذلك كان الحال قبل قيام الدولة الايوبية ، إذ وصف ( إبن منقذ ) كيف كان الصليبيون يتزاودون ويختلطون وينتفعون بما يجدونه عند المسلمين فالصليبيين قد اختلطوا وتعايشوا في المجتمع الاسلامي واخذوا الكثير من عاداته لا سيما الزراعة وغيرها ، وبذلك قال : (( فَكُل من هو قريب العهد بالبلاد الافرنجية أجفى اخلاقاً من الذين قد تبلدوا وعاشروا المسلمين))[٤٠] ، مبيناً ما كان فيه الصليبيين من حالةِ الجَفاء في طباعهم في بداية استيطانهم وما وصل اليه حالهم بعد مرور السنين واختلاطهم بالمسلمين .

**٢ ـ أحوال الفلاحين**

أما عن احوال الفلاحين المسلمين في الاراضي الزراعية التي سيطر عليها الصليبيون في بلاد الشام ، فكانت متردية بشكل عام ، إذ كانوا في أدنى درجات السُلم الاقطاعي [٤١] ، فقد حصلَ الأمراء الصليبيون على حصة الأسد واغتصبوا الأراضي الزراعية وتملكوها بعد الإبادة التي تعرضَ لها السُكان في القرى والمدن الشامية التي اضطرت المزارعين وكثير من مالكي الاراضي المسلمين الى الهروب وترك اماكنهم واراضيهم [٤٢] ، وبالرغم من هروب معظم

الفلاحين المسلمين من الريف بسبب الغزو الصليبي إلّا إنهم احتفظوا بتركيبهم العِرقي إذ كانت نسبتهم تُشكل الاغلبية من سُكان القُرى وقد أُطلق عليهم بالقرويين ، كما اطلق هذا الاسم على الصليبيين والفلاحين إلارمن الذين يمثلون طبقات اجتماعية منخفضة [٤٣] ، وقد عمل فلاحي الشام على زراعة الريف الصليبي خاصةً في القرى المحاذية للأراضي الإسلامية ، وحول المدن الكبرى التي تدخل ضمن إطار المستعمرات الصليبية مثل عكا، ونابلس[٤٤] ، كما شارك فلاحي الشام المسيحيين في زراعة الريف الصليبي كالموارنة في قرى طرابلس والارمن في الاراضي الزراعية حول انطاكية [٤٥] ، إذ عالج الصليبيون مشكلة هجرة الأراضي الزراعية بتشجيع سكان المنطقة لاسيما النصارى على مواصلة زراعة السهول والوديان والجبال من اجل تزويد كيانهم الجديد بالمواد الغذائية الضرورية [٤٦] ، وذكر ( إبن جُبير ) بعض الاستثناءات عن فلاحي تبنين بالقرب من عكا بأن احوالهم كانت أفضل من وضعية الفلاحين في بقية المناطق الاسلامية المجاورة [٤٧] ، كما يدخل البدو ضمن التركيب السكاني للريف في بلاد الشام الى جانب الفلاحين المسلمين والصليبيين ، وكانوا يعيشون في منازل داخل القرية ومهنتهم الاساس هي رعي قطعان الماشية في مراعي القرية [٤٨] .

ويبدوا إن الفلاحين بمرور الوقت أصبحوا أكثر أهمية ، إذ أصبحَ للفلاح وضعٌ خاص بالريف الصليبي مقارنةً مع الأشخاص أصحاب المهن الأُخرى ، وبالتأكيد فإنَّ ذلك يرجع الى الأهمية الاقتصادية التي يُحققها الفلاح للسيد الاقطاعي ، ومثال ذلك ماذكرهُ ( إبن منقذ ) بأن بعض الصليبيين قد إتهموا أحد الفلاحين في نابلس بأنه أرشَدَ بعض اللصوص لسرقة إحدى القُرى ، فأنكرَ الفلاحُ ذلك الاتهام مُطالباً بمبارزة المدعي ، لكن سيدهُ الإقطاعي رفض خوفاً من خسارة الفلاح فأمر بآخر حداد لمنازلة المُدعي [٤٩] .

أما بالنسبة للأراضي الزراعية التي كانت متآخمة للحدود المشتركة بين المسلمين والصليبيين، فكانت هنالك حالةً من التعايش والتعاون بين المسلمين والصليبيين كما في دمشق بحيث اقتسمَ الجانب الصليبي مع الاسلامي حصاد تلك الأراضي [٥٠] ، وفقاً لما عُرف بعملية المُقاسمة ، مثال ماذكرهُ ( ابن القلانسي ) من اتفاق الملك بلدوين ملك بيت المقدس مع ظهير الدين طغتكين صاحب دمشق على إقتسام محصول أرض السواد وجبل عوف أثلاثاً سنة ( ٥٠٢هـ / ١١٠٨م)

فكان الثلث للملك بلدوين ، والثُلث الآخر لظهير الدين ، أمّا الثلث المتبقي فكان للفلاحين أصحاب تلك المناطق الخصبة [٥١] .

وعملية المُقاسمة للحصاد الزراعي السابقة الذكر قد إستمر العملُ بها في عهد الدولة الأيوبية ، ففي سنة ( ٥٨٠هـ / ١١٨٤ م) جرى إقتسام الحصاد بين الصليبيين وبين الفلاحين المسلمين في قُرى بانياس مناصفةً بينهما [٥٢] ، نتيجة لإعتماد الصليبيين الكُلي في الحصول على تموينهم الغذائي من الفلاحين في هذه القُرى ، بل إنَّ درجة التعاون بين الجانبين في هذه المنطقة وصلت حداً جعلت المواشي التابعة لجميع الأطراف بممارسة الرعي بكل حُرية [٥٣] .

وذكر ( ابن جُبير ) عن الفلاحين المسلمين في تبنين انهُ بالرغم من أدائهم لضريبة الرأس [٥٤] التي كانوا يؤدونها للسُلطات الصليبية وهي من ايرادات الكنيسة ، كانوا يقتسمون ما تنتج اراضيهم من المحصول مع الصليبيين [٥٥] ، ويفسر أحد المؤرخين المحدثين هذه الظاهرة في إقتسام المحصول ، بأنه نتيجةً لإعتماد الصليبيين وبصورة كُلية على الفلاحين المسلمين في تبنين لزراعة تلك الأراضي [٥٦].

**٣ ــ العوامل الطبيعية**

لعبت أحوال المناخ من درجات حرارة ورياح ونسب سقوط الامطار دورها في تحديد مستوى الانتاج الزراعي في بلاد الشام وبالتالي تحديد للمستوى المعاشي فيها [٥٧] ، فرياح بلاد الشام غربية وبذلك يكون مناخ الشام في الشتاء ممطر ، يليه صيفٌ يمتاز بالجفاف ، لذلك تباينت موجات سقوط الامطار التي تقل كلما تم التوغل من منطقة الساحل أي من الغرب الى الشرق أو تكثر الأمطار في الشمال وتقل كلما توجه الى الجنوب [٥٨] ، وهذا التذبذب في سقوط الامطار قد أدى الى تقلب أحوال الزراعة في بلاد الشام بين الضعف والجودة للمحاصيل وبين الرخص والغلاء للأسعار بين الحين والآخر ، وأحياناً انتشار حالة من الجدب، فحدث أن أصاب بلاد الشام سنة ( ٥٧٣هـ / ١١٧٧م ) إن ماتت الزروع ، فقال في ذلك ( الأصفهاني ) : (( وراحت الرياحين ويبست البساتين وعاودت مساكنها المساكين )) [٥٩] ، وتبعت حالة الجدب سنة ( ٥٧٤هـ / ١١٧٧م ) في بلاد الشام فيقول ( الأصفهاني ) ايضاً : (( والجدبُ

عاماً والشام لروائع الجوانح شاماً وللأسعار أسعار وللأسرار إستشعار وللأقوات اقوات وللغلات غلاء وللبلادِ بلاء وللسوءِ استوآء ))[٦٠] ، إذ عَمَّ هذا الجدب والغلاء العديد من البلاد منها العراق بما فيها الموصل وشمالاً إلى ديار الجزيرة الفراتية وديار بكر وبلاد الشام وغيرها من البلاد [٦١] ، واستمر الى أواخر سنة ( ٥٧٥ هـ / ١١٧٩م ) إذ جاءت الامطار ورخصت الاسعار ، ووجدت الأقوات بعد أن كانت معدومة ، إلّا إنَّ الغلاء قد أعقبه وباء أصاب الناس في تلك السنة ( ٥٧٥هـ / ١١٧٩م ) وهو وباء قاتل يُدعى ((سرسام)) فمات على اثره من كُل بلد خلقٌ كثير [٦٢] .

كما تأثرت الزراعة في بلاد الشام بالعواصف التي حدثت في بعلبك ، فيصفها ( الأصفهاني ) بقوله : (( فقد تشاجرت عواصي العواصف مع الاشجار وألْقت حواملها أجنة الأثمار ، وناح الهزار على الأزهار ، وباح نفس الجو العليلُ بالأسرار ، وسافرت الأطيار وكارت الأسفار ونشا النشاص وربا الرباب ، وسحب ذيلُ نيلهِ السحاب وسفر محيا الحياء من قناع الفزع وغاض الفيظ من الغيظ ))[٦٣] .

ومن الكوارث الطبيعية الاخرى التي حلت في بلاد الشام هي الزلازل التي كانت تضرب بلاد الشام بشدة ، وأبرزها ما حدث سنة ( ٥٥٢هـ / ١١٥٧م ) وأشدُّ دمارها كان في؛ حماه، وشيزر، وكفر طاب، والمعرّة، وحمص، وحصن الاكراد ، إذ خُربت هذه المدن بالكامل [٦٤] ، كما تأثرت القرى المجاورة لها ، فأُهلك من الخلق الكثير من الناس بعد ان تهدمت الأسوار والدور والقلاع [٦٥] ، والعجيب ما ذكرهُ ( ابن الأثير ) عن هذه الزلزلة بقوله : (( ولقد بلغني من كثرة الهلكى أن بعض المعلمين بحماة ، ذكر انهُ فارق المكتب لمهم عرض لهُ فجاءت الزلزلة فأُخربت الدور وسقط المكتب على الصبيان جميعهم ، قال المعلم : فلم يأت أحدٌ يسأل عن صبي كان لهُ في المكتب )) [٦٦] .

كما حدثت الزلازل مرة أخرى سنة ( ٥٦٦هـ / ١١٧٠ م ) [٦٧] ، ثم تجددت زمن العادل الأيوبي سنة ( ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م ) في؛ بلاد الشام [٦٨]، والجزيرة الفراتية، وبلاد الروم، والعراق، ولكن قوة الزلزلة وعظمتها كان بالشام ، إذ تهدمت دورٌ كثيرة من؛ طرابلس، وصور، وعكا، ونابلس، التي مات بها وبالقرى التي حولها ثلاثون ألف تحت الرّدم [٦٩] ، كما خُسفت

قرية من ارض بُصرى، ومات من الخلق الكثير ، حتى يذكر انهُ ماتَ في هذه السنة إثر الزلزلة نحو ألف الف ومائة انسان [٧٠] ، وفي نفس السنة كانت مصر تعاني من أزمة إنخفاض نهر النيل وما تبع ذلك من انتشار المجاعات والأوبئة وكانت كارثة مخيفة أثارت المؤرخين الذين بالغوا في وصف اهوالها [٧١] ، وقد تم ذكر ذلك في المطلب الأول سلفاً .

ثم ثارت الزلازل من جديد سنة ( ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م ) فعمَّ الخرابُ بسببها الكثير من البلدان [٧٢] .

كما تعرضت بلاد الشام إلى غزو بعض الآفات الزراعية مثل الجراد الذي غزا حقولها الزراعية عدة مرات منها سنة ( ٥٩٢هـ / ١١٩٥م ) وسنة ( ٦٢٠هـ / ١٢٢٣م ) [٧٣] ، فعمَّ الغلاءُ في بلاد الشام بعد تناقُصِ المحاصيل بفعل هذهِ الآفة إذ أَكل الزرعُ والشجر والثمار فقلَّ الإنتاج وإزداد الفقر والغلاءُ والأمراض [٧٤] .

كما عمَّ الغلاءُ مرة أخرى واستمر لمدة سنتين من سنة ( ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م ) الى سنة ( ٦٢٥ هـ / ١١٢٧ م ) ، إذ ارتفعت اسعارُ الطعام فأكَلَ الناسُ الميتة والقطط والكلاب ، مما سبب إنتشار الأوبئة والأمراض فكثُر الموتَ بين الناس [٧٥] .

ومن هذه الشواهد التاريخية التي حدثت في بلاد الشام وغيرها من البلاد تبين إنَّ الاراضي الزراعية وما تدرهُ من الانتاج الزراعي يتأثران بلا شك بهذه المؤثرات سياسية كانت أم طبيعية والتي تؤثر بدورها على تغير الاسعار وعلى المستوى العام لعيش السكان[٧٦] .

وعلى العموم فإنَّ الزراعة في بلاد الشام لم تتوقف بل كانت تنهض مع اشراقة كل موسم جديد إذ تحفل بمواسم زراعية تمتاز بكثرة انتاجها من المحاصيل مع اسعارٍ متقاربة من اسعار مصر إلّا الفاكهة فإنها أرخص لأنها متوافرة بكثرة [٧٧] .

## المطلب الثالث

## الجزيرة الفراتية

**١ ـ العوامل السياسية والعسكرية**

مثلما تعرضت الأراضي الزراعية في بلاد الشام الى إحداثٍ سياسية وما جرى فيها من الحروب والمعارك التي أثَّرت على أحوال البلاد الزراعية ، كذلك تعرضت بلاد الجزيرة الفراتية الى نفس الأحداث لإتصال هذه البلاد جغرافياً وامتداد حدودها مع بلاد الشام [٧٨] ، خاصةً اذا عُلِم إنَّ الاجتياح الصليبي للفرنجة الصليبيين للمنطقة العربية تبدأ من آسيا الصغرى مروراً بالجزيرة الفراتية وانتهاءاً ببلاد الشام واستقرار المُحتلين في القدس وما جاورها من البلاد[٧٩].

وبطبيعة الحال فإنَّ هذه الحروب قد خلقت جواً من حالة عدم الاستقرار في المنطقة فكانت سبباً في تدهور حالة البلاد الزراعية لما تبع هذه الحروب من تأثير سلبي على انتاج المحاصيل الزراعية واوقات زراعتها في منطقة الجزيرة الفراتية بصورةٍ خاصة[٨٠]، بإعتبارها كانت مسرحاً لهذه الأحداث ، إذ تعرضت الجزيرة الفراتية لويلات الحروب وكوارثها ، والى عسف الحُكام والتغير المستمر للولاة ، وما صاحب ذلك من الفتن والإضطرابات التي عصفت بالمنطقة منذُ مطلع القرن ( السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ) وانتهاءاً بسقوط الدولة الأيوبية فتطبعت المنطقةُ بصورةٍ عامة بحالة عدم الاستقرار الذي ساد أجوائها وكان له تأثير كبير على الحالة الاقتصادية في منطقة الجزيرة [٨١] .

وأهم هذه الأحداث العديدة هي الغارات التي شنها الأكراد المقيمين في ديار بكر ، سنة ( ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م ) وما أحدثوه من قطع الطريق الواقعة بين نصيبين ودنيسر إذ كان هجوماً قوياً من نوعه فلم يستطع حكام البلاد ايقافهم أو منعهم[٨٢] بسبب حصانة المنطقة التي تُحيطُ بها الجبال ، وكذلك قوة الأكراد وقوة عتادهم وحسن تدريبهم ، فحلّ الخرابُ والدمار في بلاد الجزيرة في السنة التالية أي سنة ( ٥٨١هـ / ١١٨٥م ) بسبب فتنة حدثت في ديار بكر، والجزيرة الفراتية، وبلاد الشام ، وهذه الفتنة بين الاكراد والتركمان [٨٣] ، وأمتدَّ تأثيرها الى العراق واستمرت اياماً كثيرة فكانت فتنة عظيمة قُتل فيها الكثيرُ من الناس ، وقُطعت الطريق على المسافرين ونهبت اموالهم [٨٤] ، ثم كررَ أكراد ديار بكر غاراتهم واعمالهم في النهب والسبي والقتل وذلك في سنة ( ٦٢٤هـ / ١٢٢٦م ) [٨٥] .

كما احدث المغول التخريب في بلاد الجزيرة الفراتية ، إثر الهجمات المستمرة التي شنوها ضد المنطقة منذ سنة ( ٦١٧ هـ / ١٢٢٠م) الى سنة ( ٦٥٦ / ١٢٥٨م) [٨٦] ، أي حتى سقوط بغداد بأيديهم ، كما دبَّ الخرابُ في مدينة ماردين التي تعرضت الى النهب من قبل الملك الأشرف ابن العادل الأيوبي وعساكرِه [٨٧] .

**٢ ـ العوامل الطبيعية**

لعبت أحوال المناخ دورها في تحديد مستوى الانتاج الزراعي في بلاد الشام وبلاد الجزيرة الفراتية نتيجة التقلبات المناخية ، وذلك لقرب الجزيرة الفراتية من بلاد الشام ، بل واتصالها جغرافياً ، مما جعل المنطقتان وكأنهما منطقةٍ واحدة ، فالعوامل الطبيعية المؤثرة على بلاد الشام وخاصةً شماله هي نفسها التي أثرت على الجزيرة الفراتية من حيث؛ عدم سقوط الامطار وما يقابلها من غلاء في الأسعار ، وانتشار الوبآء ، ومثال ذلك ما وقع من القحطِ والوبآء في؛ بلاد الموصل، والجزيرة، وديار بكر، بين سنتي ( ٥٧٤ هـ / ١١٣٨م ) و ( ٥٧٥ هـ / ١١٧٩ م ) فتناقصت موارد بيت المال الذي يُسمى المخزن في الجزيرة الفراتية والموصل[٨٨] .

وفي ذلك ذكر ( ابن الأثير ) عن حالة القحط التي مرت بالبلاد بقوله : (( وأعجب ما رأيتُ تلك السنة ، انني كنتُ في الجزيرة ... وإذا قد اقبل انسان تُركماني قد أثَّرَ عليه الجوع ، وكأنهُ قد أخرج من قبر ، فبكى وشكى الجوع ، فأرسلتُ من اشترى له خُبزاً فتأخر إحضارهُ لعدمه ، وهو يبكي ويتمرغُ على الأرض ، فتغيمت السمآءُ وجاءت نُقط المطر متفرقة ، وضجَ الناس ... واشتدَّ المطر ، ودامَ من تلك ساعة ، فرخصت الأسعار ، ووجدت الأقواتُ بعد أن كانت معدومة )) [٨٩].

كما وقعت الزلازل في الجزيرة الفراتية في نفس الوقت الذي وقعت فيه ببلاد الشام مع فارق في قوة الدرجة من مدينة الى أُخرى [٩٠] .

كما تعرضت المزارع في الجزيرة الفراتية الى بعض الآفات الزراعية التي تسببت في تلف المحاصيل الزراعية جُزئياً أو القضاء عليه نهائياً ، ومن بين الآفات غزو أسراب الجراد سنة (

٦٢٠هـ / ١٢٢٣م ) بموجة عامة شملت الجزيرة الفراتية، وبلاد الشام، والعراق [٩١] ، وقد تسببت في إتلاف الكثير من محاصيل الحبوب والخُضر [٩٢] ، وتكررَ غزو أسراب الجراد في مدينة الموصل سنة ( ٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م ) ، وقد قال عنها ( ابن الأثير ) : (( خرج الجرادُ وكان كثيراً خارجاً عن الحدْ )) [٩٣] .

وفي هذه الحقبة ظهرت آفة جديدة وهي الدودة التي أكلت ثمار التفاح في المناطق التي يُزرع فيها من أرض الجزيرة الفراتية ، ولم يقتصر تأثيرها المُدمر على الثمار بل إمتدَّ الى تعطيب وإتلاف معظم الأشجار [٩٤] .

وعموماً فإن منطقة الجزيرة الفراتية بالرغم مما تعرضت لهُ من مؤثرات أضرت بالجانب الزراعي الّا إنَّ ازدهارها استمر واضحاً في هذا الجانب بعد أن احتفظت ببعض أوجه نشاطها الزراعي في وقت الأزمات[٩٥].

## الاستنتاجات

- إن الظروف السياسية والإدارية التي كانت سائدة أيام الأيوبيين قد جمعت تحت حكمهم أراضي في أكثر من قارة ، فجزء من قارة أفريقيا المتمثل في مصر وأجزاء من قارة أسيا المتمثلة ببلاد الشام، والجزيرة الفراتية ، مما جعل هذه الأجزاء تشترك في جوانب حياتها المختلفة بعامة وبجوانب حياتها الأقتصادية بخاصة بسبب طبيعة الأنظمة الأدارية والاقتصادية والسياسية التي اتبعها الأيوبيون في حكم هذه المناطق .
- تعرض النشاط الزراعي وأصابه الكثير من الأضرار والأخفاقات ـ في ميدان هذه الدراسة ـ بسبب العوامل الخارجة عن سيطرة الإنسان وقدرته من جهة، وبفعل الإنسان نفسه كونه عامل أساس في هذا النشاط وغيره من الأنشطة من جهة أخرى ، فكانت الكوارث الطبيعية وظروف المناخ ومواسم فيضانات الأنهار وشحتها من أسباب تراجع حجم الأنتاج الزراعي ، فضلاً عن احوال الفلاحين التي كانت تتدهور بسبب الأجراءات الأدارية كالإقطاع مثلاً ، والاقتصادية كفرض الضرائب مثلاً آخر ، وكذلك تدهور أحوالهم بسبب حالة الحرب

المستمرة التي فرضها الصليبيون على مناطقهم من جهة وتنازع الأمراء المحليين فيما بينهم من جهة أخرى .

- فما أشبه اليوم بالبارحة فمنطقتي بلاد الشام والجزيرة الفراتية قد تأثر النشاط الزراعي تأثر سلبي لانها أصبحت في حقبة حكم الأيوبيين ساحة للعمليات العسكرية وبالتالي تزعزع الأستقرار الأمني كما هي اليوم المنطقة نفسها يتأثر النشاط الزراعي وينخفض أنتاجه بسبب ما يحدث من معارك وعمليات عسكرية قد أثرت بشكل مباشر على النشاط الزراعي في بلاد الشام والعراق مما أدى الى تدني مستويات الانتاج الزراعي وانخفاض حجم انتاجه .
- وبما أن هذه العوامل التي تؤثر على النشاط الزراعي بشكل سلبي وهي متكررة في كل زمان وفي كل مكان فيمكن التعامل مع أكثرها بوضع الحلول الناجعة التي تسهم في استقرار الانتاج الزراعي وتحسن مستواه وعلى رأس ذلك السعي لتحقيق الأمن والسلام في أي مكان لكي يستمر النشاط الزراعي بكفائته مع توضيف الامكانات المتاحة للحد من أثر العوامل الطبيعية السلبي على النشاط الزراعي كتجاوز أزمة الفيضانات وشحة المياه في إنشاء السدود على الانهار وإقامة المشاريع الإروائية لتأمين الحاجة الى الماء .

## هوامش البحث ومصادره ومراجعه

(١) المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي ( ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م ) : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ، تح : محمد زينهم وآخرون ، مكتبة مدبولي ( القاهرة ، ١٩٩٧ م ) ، ج١ ، ص١٧٥ ؛ دعكور ، عرب حسين : تاريخ الفاطميين والزنكيين والأيوبيين والمماليك وحضارتهم ، ط١ ، دار النهضة العربية (بيروت ، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م) ، ص٢٩٤

(٢) الصلابي ، علي محمد : الأيوبيون بعد صلاح الدين والحملات الصليبية من الرابعة الى السابعة ، دار ابن الجوزي (القاهرة ، د.ت) ، ص٣٢ .

(٣) السلوك لمعرفة دول الملوك ، تح: محمد عبدالقادر عطا ، ط١ ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م) ج١ ، ص٢٤٣ .

(٤) ابو البركات ، محمد بن احمد ( ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٣ م ) : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، مطابع الشعب (القاهرة ، ١٩٦٠م) ، ص٥٩.

(٥) ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد ( ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح: إحسان عباس ، دار صادر (بيروت ، د.ت) ، ج٣ ، ص٢٥١ ؛ السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج١ ، ص٢٥٧ .

(٦) الذهبي ، ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان ( ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) : سير اعلام النبلاء ، ط٧ ، مؤسسة الرسالة ( ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ) ، ج٢١ ، ص٢٩٣.

(٧) الصلابي ، الأيوبيون بعد صلاح الدين ، ص٣٣ .

(٨) المقريزي : إغاثة الأمة بكشف الغمة ، تح: كرم حلمي فرحان ، ط١ ، عين للدراسات والبحوث (مصر ، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م) ، ص١٠٣ .

(٩) الصلابي ، الأيوبيون بعد صلاح الدين ، ص١٥٧ .

(١٠) المقريزي ، إغاثة الأمة بكشف الغمة ، ص٢٩-٣٣ .

(١١) الصلابي ، الأيوبيون بعد صلاح الدين ، ص١٥٧ .

(١٢) عاشور ، سعيد عبد الفتاح : مصر والشام في عصر الأيوبيون والمماليك ، دار النهضة العربية (بيروت ، ١٩٩٦م)، ص١٤٧ .

(١٣) دعكور ، تاريخ الفاطميين ، ص٢٩٠ .

(١٤) المقريزي ، المواعظ والأعتبار ، ج١ ، ص٢٧٩ .

(١٥) الشيال ، جمال الدين : دراسات في التاريخ الاسلامي ،ط١ ، مكتبة الثقافة الدينية ( الاسكندرية ،٢٠٠٠م ) ، ص٩٥ـ ٩٦ .

(١٦) عاشور ، مصر والشام ، ص١٤٧ .

(١٧) العريني ، السيد باز : الشرق الأدني في العصور الوسطى (الأيوبيون) ، دار النهضة العربية ( القاهرة ، د . ت ) ، ج١ ، ص١٩١ .

(١٨) طوسون ، الامير عمر : مالية مصر من عهد الفراعنة الى الآن ، ط٢ ، مكتبة مدبولي ( القاهرة ، ٢٠٠٠ ) ، ص١٥٤ .

(١٩) عاشور ، مصر والشام ، ص١٤٧ .

(٢٠) حمود ، سوزي : الفاطميون والزنكيون والايوبيون والمماليك وصراعهم حول السلطة في المشرق العربي ، ط١ ، دار النهضة العربية (بيروت ، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م) ، ص١٢٤ .

(٢١) العريني ، الشرق الأدنى ،ج١ ، ص١٩٣ .

(٢٢) نوري ، عبد القادر : سياسة صلاح الدين الأيوبي في بلاد مصر والشام والجزيرة ، المكتبة الوطنية (بغداد ، ١٩٧٦م) ، ص٤٢٥ .

(٢٣) العريني ، الشرق الأدنى ،ج١ ، ص١٩٣ .

(٢٤) دويكات ، فؤاد عبد الرحيم : إقطاعية طبريا ودورها في الصراع الصليبي الاسلامي ( ٤٩٢ ـ ٦٩٠هـ / ١٠٩٩ ـ ١٢٩١م ) ، ط١ ، دار الفاروق ( عمان ، ٢٠١١ ) ، ص ٢٧١.

(٢٥) دعكور ، تاريخ الفاطميين ، ص٢٩١ .

(٢٦) دعكور ، تاريخ الفاطميين ، ص٢٩١ .

(٢٧) العريني ، الشرق الأدنى ، ج١ ، ص١٩٣ .

(٢٨) دعكور ، تاريخ الفاطميين ، ٢٩١ .

(٢٩) طحاوي ، حاتم عبد الرحمن : الاقتصاد الصليبي في بلاد الشام ، ط١ ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية (القاهرة ، ١٩٩٩م) ، ص١٨٨.

(٣٠) الزيدي ، مصعب حمادي نجم : الصليبيون في بلاد الشام ، ط١ ، إصدار النهضة العربية (بيروت ، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) ، ص٨٩ .

(٣١) طحاوي ، الاقتصاد الصليبي ، ص١٩٠ .

(٣٢) طحاوي ، الاقتصاد الصليبي ، ص٢١٠ .

(٣٣) التكريتي ، محمود ياسين احمد : الايوبيون في شمال الشام والجزيرة (٥٦٤ـ٦٤٨هـ/١١٦٨ـ١٢٥٠م) ، دار الرشيد للنشر (بغداد ، ١٩٨١م) ، ص٣٦٥ .

(٣٤) كمال الدين أبي القاسم عمر بن احمد (ت٦٦٠هـ/١٢٦١م) : زبدة الحلب من تاريخ حلب ، تح: سامي الدهان ، المعهد الفرنسي (دمشق ، د.ت)ج٢ ، ص٥٩٤.

(٣٥) كانت اولى انتصارات عماد الدين زنكي على الافرنج في حصن الاثارب سنة( ٥٢٤هـ / ١١٣٠م ) فقَتَلَ وأسَّر من كان فيه ، بعد ان كان هذا الحصن مصدر قلق لأهالي حلب اذ كان الافرنج يغيرون على أهالي حلب وينهبون عند اللاذقية ، واستردَّ قلعة يعرين قرب حماه وفتح المعرة وكفرطا وبعلبك وحصن عرقة ـ وهو من اعمال طرابلس ـ ثم توج انتصاراته بإسترداد أول إمارة أقامها الصليبيون في المشرق العربي وهي امارة الرُها : ينظر : ابن القلانسي ، أبي يعلي حمزة ( ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م ) : ذيل تاريخ دمشق ، مكتبة المتنبي ( القاهرة ،

د . ت ) ، ص٢٧٩ ؛ إبن الاثير ، علي بن ابي الكرم الجزري ( ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) : التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل ، تح : عبد القادر احمد طليمات ، دار الكتب الحديثة ( القاهرة ، د . ت ) ، ص٣٧ـ ٣٨ .

(٣٦) عاشور ، مصر والشام ، ص١١ .

(٣٧) الأصفهاني ، أبي عبدالله محمد بن محمد بن حامد (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) : حروب صلاح الدين (الفتح القسي في الفتح القدسي) ، ط١ ، دار المنار (القاهرة ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م) ، ص٥٠ ؛ ابن أيوب ، تاج الدين شاهنشاه : سيرة صلاح الدين الايوبي للقاضي بهاء الدين المعروف بإبن شداد (ت٦٣٢هـ/١٢٣٤م) ، ط١ ، دار المنار (القاهرة ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) ، ص٣٨ـ ٣٩ .

(٣٨) طحاوي ، الاقتصاد الصليبي ، ص ٢٠٥،٢٢٥ .

(٣٩) طحاوي ، الاقتصاد الصليبي ، ص٢٠٨ .

(٤٠) اسامة ( ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م ) : إلاعتبار ، تح: فيليب حتي ، مطبعة جامعة برنستون (الولايات المتحدة ، ١٩٣٠م) ، ص١٣٤ ـ ١٣٥ .

(٤١) طحاوي ، الاقتصاد الصليبي ، ص١٩٦ .

(٤٢) الزيدي ، الصليبيون في بلاد الشام ، ص٤٠ ـ ٤١ .

(٤٣) طحاوي ، الاقتصاد الصليبي ، ص١٩١ .

(٤٤) ابن جبير ، محمد بن أحمد الأندلسي (ت٦١٤هـ/١٢١٧م): رحلة ابن جبير ، دار الكتاب اللبناني (بيروت ، د.ت) ، ص٢٧٥ .

(٤٥) طحاوي ، الاقتصاد الصليبي ، ص١٩٦ .

(٤٦) الزيدي ، الصليبيون في بلاد الشام ، ص ٤١ .

(٤٧) الرحلة ، ص٢٧٥ .

(٤٨) طحاوي ، الاقتصاد الصليبي ، ص١٩١ .

(٤٩) الاعتبار ، ص١٣٨ ـ ١٣٩ .

(٥٠) غوانمة ، يوسف حسن درويش : إمارة الكرك الأيوبية ، مكتبة الأسرة الأردنية (الأردن ، ٢٠١١م) ، ص٦٣ .

(٥١) ذيل تاريخ دمشق ، ص١٦٤ .

(٥٢) ابن جبير ، الرحلة ، ص٢٧٣ .

(٥٣) طحاوي ، الاقتصاد الصليبي ، ص٢٠٢ .

(٥٤) ضريبة الرأس : تبلغ ديناراً صورياً وخمسة قراريط ، والدينار يساوي ٢٤١١ من المثقال أي انهُ يزن ٠,١٩٥ غم ، والدينار الصوري هو الدينار الذي ضربهُ الصليبيون في صور تقليداً للدنانير الفاطمية ثم الأيوبية

بما عليه من كتابات ، ولكن تشوبها بعض الأخطاء ، والدينار الصوري المُقلد هو أقل جودةً وأخف وزناُ من الدينار المصري الاسلامي اذ يحتوي ثلثي الذهب الموجود بالدينار الاسلامي المعاصر لهُ ، وقيمتهُ تساوي خمسة عشر فرنكاً ذهبياً من النقود الحالية ، ويسمى بالمراجع الاجنبية البيزنت العربي ، وقد ظل متداولاً بين العرب الى ان أمر السلطان صلاح الدين سنة ( ٥٨٣هـ /١١٨٧م ) بإبطال التعامل بالنقود التي وقع الاختلاف فيها وتضرر العامة بها ، فوحَّد التعامل بالدينار الذهب المصري والدراهم الفضة : ينظر ، هنتس ، فالتر : المكاييل والأوزان الإسلامية وما يُعادلها في النظام المتري ، ترجمة : كامل العسلي ، منشورات الجامعة الأردنية (عمان ، ١٩٧٠م) ، ص٤٤ ؛ النبراوي ، رأفت محمد : النقود الصليبية في الشام ومصر ، دار القاهرة ( القاهرة ، ٢٠٠٤ م ) ، ص٣٠ـ٣٥ .

(٥٥) الرحلة ، ص٢٧٥ .

(٥٦) قاسم ، قاسم عبدة : ماهية الحروب الصليبية ( الايديولوجية ) الدوافع ، النتائج ، عالم المعرفة ( الكويت ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ) ، ص٢١٣.

(٥٧) التكريتي ، الأيوبيون في شمال الشام ،ص٣٦٥ .

(٥٨) التكريتي ، الايوبيون ، ص٣٦١ ـ ٣٦٢ .

(٥٩) البرق الشامي ، تح: فالح حسن ، مؤسسة عبدالحميد شومان (عمان ، ١٩٨٧م) ، ج٣ ، ص١٣٣ ـ ١٣٤ .

(٦٠) البرق الشامي ، ج٣ ، ص ١٤٥ .

(٦١) التكريتي ، الأيوبيون في شمال الشام ، ص٣٦٥ .

(٦٢) ابن الأثير ، الباهر ، ص ١٧٨ ـ ١٧٩ .

(٦٣) البرق الشامي ،ج٣ ، ص١٣٣ .

(٦٤) إبن منقذ ، الاعتبار ، ص٧١ .

(٦٥) ابن الاثير ، الباهر ، ص١١٠ .

(٦٦) الباهر ، ص١١٠ .

(٦٧) الزيدي ، الصليبيون في بلاد الشام ، ص١١٣ .

(٦٨) الزيدي ، الصليبيون في بلاد الشام ، ص٨٦ .

(٦٩) عوض ، محمد مؤنس احمد : الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية ، كلية الآداب (القاهرة ، ١٩٩٢م) ، ص٨٦ .

(٧٠) ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م): البداية والنهاية ، ط٢ ، مكتبة المعارف (بيروت ، ١٤١١هـ/١٩٩٠م) ، ج١٣ ، ص٢٦ .

(٧١) المقريزي ، اغاثة الأمة ، ص١٠٥ ، ابن تغري بردي ، جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تح: محمد حسن ، ط١ ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م) ، ج٦ ، ص١٥٦ .

(٧٢) التكريتي ، الايوبيون في شمال الشام ، ص٣٦٦ .

(٧٣) المقريزي ، السلوك ، ج١ ، ص٢٤٤ ، ٣٣٥ .

(٧٤) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج٦ ، ص٢٢٤ .

(٧٥) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، دار صادر ( بيروت ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩ م) ، ج١٢ ، ص١٨٤ ـ ١٨٥ .

(٧٦) التكريتي ، الايوبيون في شمال الشام ، ص٢٦٦ .

(٧٧) القلقشندي ، أبي العباس احمد بن عبدالله (ت٨٢١هـ/١٤١٨م) : صبح الأعشى في صناعة الأنشا ، دار الكتب الخدْيوية ، (القاهرة ، ١٩١٤م) ، ج٤ ، ص٨٧ .

(٧٨) سوادي ، عبد محمد : الأحوال الإجتماعية والإقتصادية في بلاد الجزيرة الفراتية ، ط١ ، دار الشؤون الثقافية (بغداد ، ١٩٨٩م) ، ص٣٧ ، ٣٦٨ .

(٧٩) السرجاني ، راغب : قصة الحروب الصليبية من البداية الى عهد عماد الدين زنكي ، ط٥ ، مؤسسة اقرأ ( القاهرة ، ٢٠٠٩ م ) ، ص٧٦ ـ ١٤٨ .

(٨٠) لم يكن الفرنجة الصليبين هم وحدهم من خاض الحروب في هذه المنطقة ، فأقوام المنطقة خاضوا حروباً فيما بينهم ، أو بين بني أيوب ، أو بين أقوام المنطقة وبين الخوارزمية أو المغول ، أو صراع امارات الجزيرة فيما بينها : ينظر : التكريتي ، الأيوبيون في شمال الشام والجزيرة ، ص٣٥٧ .

(٨١) التكريتي ، الايوبيون في شمال الشام ، ص٣٥٨ ، ٣٦٤ .

(٨٢) ابن جبير ، الرحلة ، ص١٣٦ .

(٨٣) الفقي ، عصام عبدالرؤوف : بلاد الجزيرة في آواخر العصر العباسي ، دار الفكر العربي (القاهرة ، د.ت)، ص٢٤٢ .

(٨٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج١١ ، ص٢١١ .

(٨٥) ابن الأثير ، الكامل ، ج١٢ ، ص١٨٧ .

(٨٦) لامب ، هارولد : شعلة الإسلام قصة الحروب الصليبية ، ترجمة : محمود عبدالله يعقوب ، مكتبة المثنى (بغداد ، ١٩٦٧م)، ص٤٦٥ .

(٨٧) التكريتي ، الايوبيون في شمال الشام والجزيرة ، ص٣٦٥ .

(٨٨) ابن الأثير ، الباهر ، ص١٧٨ .

(٨٩) الباهر ، ص١٧٨ ـ ١٧٩ .

(٩٠) التكريتي ، الأيوبيون في شمال الشام والجزيرة ، ص٣٦٦ .

(٩١) المقريزي ، السلوك ، ج١ ، ص٣٣٥ .

(٩٢) اليونيني ، موسى بن محمد أحمد قطب الدين البعلبكي ( ت ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م ) : ذيل مرآة الزمان ، دائرة المعارف العثمانية ( الهند ، ١٩٦١م )، ج١ ، ص١٢٥ .

(٩٣) ابن الآثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص٤٢٤ .

(٩٤) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، ج١ ، ص ٣٠ .

(٩٥) التكريتي ، الأيوبيون في شمال الشام ، ص٣٦٤ .